الشيخ سليمان السليمان
كما عرفته

تأليف

د. محمد بن ابراهيم الحمد

دار الحضارة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

ⓒ دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، محمد إبراهيم

الشيخ سليمان السليمان كما عرفته./ محمد إبراهيم الحمد- ط١-

الرياض ١٤٤٠هـ

ص: ٠٠×٠٠ سم

ردمك: ٠ -٥٤ -٨٢٥٣ -٦٠٣ -٩٧٨

١ -التراجم السعودية أ -العنوان

ديوي ٩٢٠ ١٤٤٠/٦٠٩٤

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٦٠٩٤

ردمك: ٠ -٥٤ -٨٢٥٣ -٦٠٣ -٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩

فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذه صفحاتٌ تُبين عن شيءٍ من سيرة الشيخ سليمان بن عبدالعزيز السليمان رحمه الله.

وهي - في أصلها - مقالان كتبتُهما بعد وفاة الشيخ مباشرة، ونشرتُهما عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ فلقيا صدىً واسعاً، وصار لهما أثرٌ كبيرٌ.

وخشيةً من ضياع ذلك سدىً، ورغبةً في أن يكون نواةً لمن أراد دراسة الشيخ بتوسع - جعلتُ ذلك في كتابٍ واحد، وذلك بعد التنقيح، والفهرسة.

وقبل ذلك يحسن التمهيد بتعريفٍ عام بسيرة الشيخ العامة، وذلك من خلال بيان مولده، ومسيرته العلمية الدراسية.

وعلى هذا فما سيكون في هذا الكتاب مشتملاً على

ما يلي:

- تمهيد: تعريف عام بالشيخ سليمان السليمان
- الشيخ سليمان السليمان كما عرفتُه (١)
- الشيخ سليمان السليمان كما عرفتُه (٢)

فإلى بيان ذلك، والله المستعان، وعليه التكلان.

محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي ١٤٣٩/١٠/٢١هـ

تمهيد: تعريف عام بالشيخ سليمان السليمان

هو سليمان بن عبدالعزيز بن صالح آل سليمان من بني زيد.

وقد ولد في مدينة الزلفي عام ١٣٧٦هـ كما هو مثبت في شهادة الدكتوراه.

ويذكر ابنه هشام أنه قد عُدِّل تاريخ ميلاده إلى ١٣٧٨هـ.

والسبب في عدم تحديد تاريخ الميلاد؛ أن أغلب الناس في ذلك الوقت، وما قبله، وما بعده بسنوات لا يعتنون بكتابة تاريخ الميلاد.

وإنما يضبطونه بحادثةٍ معينةٍ، ونحو ذلك.

ولعل الشيخ قد ولد في عام ١٣٧٧هـ كما ذكر لي بعضُ من يكبرونه في الحي.

وعلى كل حال فهو لا يخرج عن هذه التواريخ بحال.

وقد درس الابتدائية في مدرسة القدس في الزلفي، وتخرج فيها عام ١٣٩٠-١٣٩١هـ، ثم التحق بالمعهد العلمي، وهو - كما هو معلوم - مشتملٌ على الدراسة المتوسطة والثانوية.

وقد حصل على الشهادة الثانوية العام الدراسي ١٣٩٦-١٣٩٧هـ، ثم التحق بكلية الشريعة، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم، وحصل على شهادة البكالوريوس العام الدراسي ١٤٠٠-١٤٠١هـ.

ثم التحق ببرنامج الماجستير بكلية أصول الدين في الرياض، وحصل على درجة الماجستير عام ١٤٠٧هـ.

ثم التحق ببرنامج الدكتوراه، وحصل عليها بتاريخ ١٤١٦/١/٢٠هـ.

ثم عُيِّن عضو هيئة تدريس بكلية الشريعة وأصول الدين فرع جامعة الإمام بالقصيم، واستمر حتى تأسست جامعة القصيم، وانفصلت عن جامعة الإمام، واستمر فيها، إلى أن انتقل إلى كلية التربية في الزلفي - جامعة المجمعة -، واستمر فيها إلى أن تقاعد، ثم تعاقدت معه الجامعة إلى أن توفي رحمه الله.

فهذه نبذة عامة عن مولده، ومسيرته العلمية النظامية.

الشيخ: سليمان السليمان كما عرفته (١)

ودَّعت الزلفي بعد عشاء يوم الثلاثاء ١٤٣٩/١٠/٥هـ في جنازةٍ مشهودةٍ علماً من أعلامها، وعالماً من أكابر من دَرَجوا على أرضها، عاش بهدوء، وفارق الدنيا كما عاش فيها.

ذلكم هو شيخنا الشيخ الجليل الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالعزيز بن صالح آل سليمان.

وكعادة الناس ـ إذا مات علم من الأعلام تتابعوا على ذكر مآثره، ومناقبه ـ تنابعت الألسن والأقلام على إيراد ما يتيسر لهم من مآثر الشيخ ومناقبه.

ولا تثريب على الناس في ذلك؛ إذ هو من الذكر الحسن، ومن جملة لسان الصدق الذي يهبه الله من شاء من عباده.

ولا ينغِّص على ذلك ما يُرَدَّدُ من أننا لا نذكر أكابرنا إلا إذا ماتوا، على حدِّ قول الأول:

لا ألفينك بعد الموت تندبني

وفي حياتي ما زودتني زادي

فالقضاء يحكي الأداء كما يقول الفقهاء.

ولأنْ يذكر أولئك ـ ولو بعد موتهم ـ خيرٌ من ألا يذكروا البتة.

بل إن ذكرهم بعد الموت نوع وفاء، وسبيل اهتداء واقتداء.

أقول هذا القول ويعلم الله أنني كثيراً ما أذكر في المجالس ما سأسطره الآن في حق حبيبنا، وشيخنا، وجارنا الفقيد الغالي أبي هشام الذي طافت بي الذكريات معه فور علمي بخبر وفاته.

ولن أُفيض في هذا المقال الموجز في ذِكْر مجملاتٍ لسيرة ذلك العلم، بل ولا إلى كثير من التفصيلات التي تحلل تلك الشخصية، وتحدد دقائق معالمها.

وإنما هي إشارات ربما لا يعلمها الكثير ممن لم يعرفوا الشيخ الجليل إلا إبان تقدمه في السن، ووصوله إلى أرقى درجات الأكاديمية، فتراهم يَعْجَبون من هذا العِلْمِ المتين، والموسوعية المبهرة.

وما علموا أن ذلك ثمرة تحصيل طويل، ودأب مستمر، ونَفَسٍ مُستريض.

لقد عرفت الشيخ سليمان منذ أن كنت في الخامسة من عمري تقريباً؛ وذلك بحكم الجوار؛ فمنزلهم مقابل لمنزلنا مباشرة، لا يفصلهما إلا ممر طوله خمسة أمتار تقريباً، وكان الشيخ يكبرني ببضع سنين.

وكانت العلاقة بين والدتي ووالدته وطيدة جداً، وكانتا ـ رحمة الله عليهما ـ متعاونتين على تكاليف الحياة، وما تقتضيه حاجات البيوت أنذاك.

وكنت أنا وإخوتي نغدو ونروح كل يوم تقريباً إلى بيت جارنا عبدالعزيز بن سليمان رحمه الله إما بحاجة ترسلها أمي إلى أم صالح ـ أم الشيخ ـ أو نأتي بها منها.

أو نذهب هكذا بدون حاجة، وإنما نأتي إلى أم صالح؛ فلا نخرج منها إلا بهدية مفرحة، إما قطعة حلوى، أو حفنة مكسرات، أو مبلغ مالٍ، أو ما شاكل ذلك وجرى مجراه،

مما يعرف عندنا باسم (الشَّرْط).

وكنا نَعُدُّ الشيخَ سليمان بمثابة الأخ الأكبر لنا؛ حيث سبقنا بسنوات للتعليم؛ إذ لما كان في المرحلة المتوسطة في المعهد العلمي كنتُ في بداية الدراسة الابتدائية.

وكان الشيخ منذ صغره شغوفاً بالقراءة والاطلاع، وكان ذلك معروفاً عنه عند جميع أهل الحي.

ولا أذكر منه أدنى إساءة إلى أحد منا طيلة فترة الصبا، بل كنا نلقى منه الإحسان، والتعليم، والإجابة عما نسأله عنه.

ومما أذكره أن البيوت في مطالع التسعينيات الهجرية إلى قريب من الألف بعد الأربعمائة كانت من الطين في أغلبها، وكان بيتهم من الطين، وفي مدخل البيت جداران قد بُنيا من الجص الأبيض.

وكان هذان الجداران بمثابة السبورة، أو وسيلة الإيضاح للشيخ؛ إذ كان يكتب عليهما بخطه الجميل ـ وهو طالب في أوائل المتوسطة ـ أسماءَ الطيور، وربما رَسْمَها، فكنا نتهجَّى

تلك الحروف، ونعرف أنها تعني ذلك الكائن، أو غيره.

وكانت حارتنا المسماة بالشرقية[1] بالرغم من صغرها مكتظة بالسكان، وفيها عدد من الجنسيات العربية بحكم التدريس، أو العمل، ففيها: المصري، والسوري، والفلسطيني، والأردني، واليمني.

وكان أبناء الحي كغيرهم يلتقون في المسجد، أو المدرسة، أو في داخل الحي، أو في بعض البقالات، أو في ساحات اللعب، أو بعد منتصف العصر؛ انتظاراً لمجيء الغنم إذا جاء بها الراعي من المرعى من الصحراء؛ حيث يخرج بغنم أهل الحي فجراً، ويعود بها قبيل المغرب؛ فكان الناس ينتظرونه ليأخذ كل واحدٍ أغنامه، وبعضها تذهب من نفسها إلى المنزل مباشرة.

وكان من ضمن تلك اللقاءات لقاءات بعد المغرب، أو بعد العشاء؛ حيث كان كبار السن يلتقون في مجالسهم، والأولاد

---

(١) لأنها تقع في شرقي البلد، وهي إلى الآن قائمة. وتقع شرقي جامع الملك عبدالعزيز في محافظة الزلفي.

يجلسون معهم، أو يجلسون عند بعض المصابيح الكهربائية في الحي؛ إذ لم تكن الشوارع أنذاك مضاءة، بل هي مظلمة؛ فيضع بعض أهل الحي مصباحاً كهربائياً يضيء بعض شوارع الحي، وكان في الحي ثلاثة أماكن أو تزيد يوجد فيها المصابيح؛ فكان أبناء الحي يلتفون حولها؛ للحديث، والمسامرة.

وسيأتي بيان لسبب ذكر ذلك، وتعلقه بالشيخ سليمان.

وكان في قرب حارتنا المكتبة العامة في الزلفي، وكانت تقع جنوب مصلى العيد المعروف، وكان الشيخ سليمان يذهب إليها كل صباح منذ بداية الدوام إلى أن تغلق المكتبة قبيل أذان الظهر، ثم بعد العصر إلى أذان المغرب.

وكان الشيخان عبدالله بن عبدالرحمن الداود، والشيخ راشد بن سليمان الرومي -رحمهما الله- أمينَي تلك المكتبة.

والذي لا يعرف الشيخ سليمان يظن أنه موظف في المكتبة من كثرة مداومته، وطول مكثه فيها.

وكان قارئاً نهماً، ولا أبالغ إذا قلت: إنه قرأ كلَّ، أو جُلَّ

ما في تلك المكتبة قبل دخوله الجامعة وبعد دخوله فيها قبل تخرجه منها.

ولا أبالغ ـ أيضاً ـ إذا قلت: إنه يكاد يستحضر جميع ما في المكتبة من الكتب، وأماكنها، وتصنيفها، ومحتوياتها.

وكنا صغاراً نصحبه إلى المكتبة؛ لقراءة الصحف، وبعض الكتب خصوصاً كتب القصص، ولأجل أن ننعم بالمكان الظليل في المكتبة، وربما يحصل مع ذلك بعض الشاي.

وكان من أهم ما يجذبنا أن نكتب أسماءنا حال دخول المكتبة في كشف الحضور اليومي ثم نوقع في خانة التوقيع، وكان ذلك يطربنا كثيراً.

ولو رجعت إلى تلك الكشوفات لرأيت كثرة التردد.

وكنا نرى الشيخ سليمان مكبًّا على القراءة لا يكل، ولا يمل.

وكانت دراسة المعهد العلمي في تلك الفترة قوية في مناهجها، ومع ذلك لم يكن الشيخ يكتفي بها؛ إذ كان يرى

أنها لا تروي نهمه، وتعطشه إلى العلم، والمعرفة.

وبعد صلاة العشاء يجتمع بعض شباب الحي حول الأماكن التي يوجد فيها مصباح كهربائي، وأذكر أن أشهرها مصباح على جدار جارنا الكريم عبدالرحمن بن محمد الحمود المسعود، وكنا نجتمع حوله.

ومما كان يدور في تلك المجالس أن يَذْكُرَ من يأتي إلى المكتبة ما قرأه في ذلك اليوم.

وكذلك كانت تُجرى مساجلات شعرية، أو مسابقات ثقافية.

ومن تلك المسابقات أن يُكَوَّنَ فريقان وتُجرى مسابقةٌ بينهما من خلال حروف الهجاء، فالفريق الأول يبدأ بالحرف (أ) فيذكر اسم إنسان يبدأ بذلك الحرف، ويذكر اسم حيوان، واسم بلد، وهكذا.

ثم يذكر الفريق الثاني مثل ذلك في الحرف الذي يليه إلى آخر حروف الهجاء، ثم تنتهي المسابقة بفوز أحد الطرفين.

وكان المرجع عند الصعوبات في ذلك الشيخ سليمان رحمه الله.

ومما يحضرني أننا في أحد الأيام وصلنا إلى الحرف (ذ) فذكرنا اسم إنسان، واسم حيوان، وعجزنا أن نجد اسم بلد.

ولم يكن في ذلك الوقت محركات بحث لا جوجل ولا أخواته، فرجعنا إلى الشيخ سليمان، وقلنا له: لا يوجد اسم بلد يبدأ بالحرف (ذ) فقال: بلى، يوجد في بلد عربي، ثم ذكر لنا أن في اليمن بلدة يقال لها (ذمار).

وأذكر أنه في يوم من الأيام أجرت إحدى وسائل الإعلام مسابقة في معرفة الصحابة طيلة أيام شهر رمضان، ففي كل يوم يطرح سؤال عن سيرة صحابي، ثم يقال: من هذا الصحابي؟

وكانت بعض الأسئلة معروفة خصوصاً إذا كانت لأحد مشاهير الصحابة -رضي الله عنهم-.

وفي يوم من الأيام ورد سؤال عن صحابي، فَذُكِرَتْ بعضُ أخباره؛ فلم يعرفه أحد في الحي؛ فأتينا الشيخ سليمان وهو

جالس في المكتبة العامة، وذكرنا له صيغة السؤال الذي ورد فيه كذا وكذا من سيرة ذلك الصحابي، فقال على الفور: هذا عمير بن الحمام.

وقد استمرت علاقتُه بالمكتبة العامة إلى أن انتقلت من مقرها الأول إلى مقرها الثاني، ثم إلى مقرها الحالي الآن فقد كان من أشهر مرتاديها، وأكثرهم تردداً عليها.

ولقد وهب اللهُ الشيخَ سليمانَ ذهناً صافياً، وقريحة وقّادة، وحافظة لاقطة، وذاكرة قوية، وجلداً عجيباً على القراءة والاطلاع؛ **فكان ذا ثقافة عالية متنوعة**؛ فلقد تسنى له في بواكير عمره قراءة أكثر كتب التراث، من أمهات كتب الشريعة بشتى فروعها، وأمهات الأدب، واللغة، ودواوين الشعر جاهليها، وإسلاميها، وعباسيها، وأندلسيها، ودواوين شعراء الدول المتتابعة، ودواوين شعراء العصر الحديث، وما يقع تحت يده من كتب المعاصرين، وكبار كتاب العربية كالرافعي، والمنفلوطي، والزيات، وطه حسين، والعقاد، وأحمد أمين،

وأدباء المهجر كجبران وغيره.

وكذلك كتب الأدب، والقصص العالمية المترجمة، ككتب سومرت موم، وشارل ديكنز، وتشيكوف، وديستوفسكي، وغيرهم.

وكذلك سلسلة الكتب التي تصدرها دار العلم للملايين ومنها ما يسمى بـ (الناجحون) وفيها سير متنوعة كسيرة أديسون مخترع الكهرباء، وسيرة هيلين كيلر، وبيتهوفن، ولويس باستير، وغيرهم ممن كانت المكتبة العامة حاوية لكتبهم، أو مما كان يشتريه مما يباع في المكتبات التجارية.

مع كثرة النظر في كتب السير، والتواريخ، والتراجم.

يضاف إلى ذلك قراءة جميع الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية، والدوريات الشهرية المحلية وغير المحلية التي تأتي إلى المكتبة العامة تباعاً.

مع الاطلاع على ما يدور في العالم من شتى الأخبار، والموضوعات، سواء كانت ثقافية، أو فكرية، أو سياسية، أو

اجتماعية، بل ورياضية، أو غيرها.

ولم يكن بمعزلٍ عن القضايا العلمية، والفكرية المستجدة، بل كان يحرص على اقتناء الكتب الجديدة في ذلك.

بل أصبحت عادة القراءة أشبه عنده بحالة الإدمان الشديد الذي لا يستطيع أن ينفك عنه حتى آخر لحظات عمره، حتى إنه قبل وفاته بساعة، أو أكثر، وبعد أن أفاق من العملية التي أجريت له طلب من أحد أولاده كتاب قواعد الترجيح عند ابن عاشور في التفسير، وهي رسالة علمية جديدة طبعت حديثاً، فاشترى ابنه ذلك الكتاب من إحدى مكتبات بريدة؛ إذ كان منوماً في إحدى مستشفياتها، فقرأ من ذلك ما قرأ، ثم أغلقه؛ ليكمله بعد أن يقوم من النوم؛ فعاجلته المنية.

ولو قدِّر أن يَكْتُبَ، أو يُستمطر للكتابة أو الحديث عن تجربته في القراء، وطريقته فيها، ونظرته للكتب، ورأيه في أكثر ما قرأ ـ لكان في ذلك إضافة وأي إضافة.

وكان ـ مع ذلك ـ عفيفاً، نزيهاً، محافظاً على الصلوات في

المساجد، حريصاً على التبكير إليها.

وأذكر أنه **في تلك الفترة في أوائل التسعينيات الهجرية وهو في مقتبل شبابه يلقي الكلمات الوعظية**، ويجذب الحاضرين بصوته العذب الذي يشجي به الحاضرين خصوصاً إذا ألقى القصائد الوعظية، أو رتَّل الخطب.

وكان في حَيِّنا الشيخ الداعية عبدالكريم اليوسف المسعود، وكان يلقي الكلمات، والمواعظ في المساجد، وفي بعض بيوت الحي التي تعقد فيها مجالس للذكر.

وكان الشيخ سليمان يصحب الشيخ عبدالكريم في مجالسه سواء في الحي، أو غيره.

وكان الشيخ عبدالكريم يعطيه الفرصة لإلقاء الكلمات.

وما إن انتهى الشيخ من دراسته الجامعية إلا وقد ملأ وطَابَه من شتى العلوم، والمعارف، والثقافات؛ **فكان بارعاً في سائر فنون** الشريعة من تفسير، وعلوم قرآن، وفقه، وأصوله، وحديث، ومصطلحه، وعقائد، ومذاهب، وطوائف.

كما كان آية في العربية، وشتى فنونها، وآدابها من نحو، وصرف، وبلاغة، وفقه لغة، وشعر، وأدب.

وكان ذا منطقٍ عالٍ جزلٍ. فلقد مارس الخطابة في جامع الدريبي سنواتٍ؛ فكان يقضي العجبُ من قوة خطابه، وبلاغة منطقه، ودقة معلومته.

بل كان يبالغ في تتبع ما يورده من أقوال العلماء، وتخريج الأحاديث بتوسع في الخطبة.

وكان ـ كذلك ـ ملمًّا بكثير من فروع الثقافة.

لذا كان جديراً بعد تخرجه من الجامعة أن يسلك أي تخصص دون أن يلقى أي عناء في دراسته.

ولكنه آثر القرآن وعلومه، **فكان تخصصه الدقيق في ذلك**، حيث كانت دراسته في الماجستير، والدكتوراه، وبحوثه للترقية في ذلك المجال، فكان آيةً في تفسير القرآن؛ وذلك لكثرة اطلاعه، وتنوع مصادره، وقراءته العميقة المتأنية لكتب التفسير، وعلوم القرآن قديمها وحديثها.

وكان جارياً في تفسيره على طريقة السلف في العقيدة، منبهاً على ما يقع فيه بعض المفسرين من تأويل، ونحوه مما يقع فيه الخطأ في هذا الباب.

ومما أعانه على ذلك وفرة اطلاعه على كتب السلف في باب الاعتقاد، وخصوصاً ما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم؛ إذ هو يستحضر كتب هذين الإمامين، وكثيراً ما يورد أقوالهما في دروسه من حفظه.

كما كانت له عناية بالغة في كتب دواوين السنة، وشروحها، وكتب الفقه في شتى المذاهب.

كما كان ذا ذوق أدبيٍّ واضح، وحفظ لكثير من أشعار العرب، وكثرةِ استشهادٍ بها، وفهمٍ لمعانيها.

وكان ذلك كله قائداً له لتوظيف تلك المعارف لتفسير الكتاب العزيز، والوقوف على دقائقه، وحلِّ معضلات التفسير، وترجيح ما يراه حال الخلاف.

ولو قدِّر له أن يفسر القرآن كله لكان تفسيراً يعد في مصافِّ

التفاسير المعتبرة.

وقد مارس **التدريس الجامعي** طيلة عمره إلى أن توفاه الله.

كما قام بالتدريس في المساجد عدة سنوات.

وكان يبهر الطلاب بحسن منطقه، وتسلسل أفكاره، وحسن استحضاره للمعلومة والشاهد، وأقوال العلماء؛ فكأنه يقرؤها من كتاب.

وما علم كثير منهم أن ذلك ثمرة علم عتيق، ولم يكن وليد يوم، وليلة.

وكان **يشارك في الكلمات التي تلقى في المساجد** في رمضان وغيره، وإذا ألقى كلمة في موضوعٍ ما أتى بالعجب.

وأذكر قبل بضع سنوات أنه ألقى كلمة عن ليلة القدر مدتها نصف ساعة؛ فأتى بأقوال أهل العلم، والاختلاف فيها بتفصيل يعز نظيره.

أما أخلاقه فإنه ـ مع هذه السيرة العلمية الباهرة لا يُرى متكبراً، أو متباهياً، أو مماريا، أو تيَّاهاً، أو كثير الحديث عن

نفسه.

بل لا يكاد من يجالسه أن يدرك ما هو عليه من المكانة العلمية، ولكأني بلسان حاله يقول كما قال الشافعي رحمه الله:

علي ثياب لو تباع جميعها

بفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهن نفس لو يقاس ببعضها

نفوس الورى كانت أجل وأكبرا

وما ضر نصل السيف إخلاق غمده

إذا كان عضباً أين وجَّهته فرى

ولقد عرفته منذ أوائل عمري ـ كما أسلفت ـ إلى أن زاملته في التدريس بكلية الشريعة وأصول الدين ـ فرع جامعة الإمام سابقاً ـ إلى أن تأسست جامعة القصيم، فكنت أصحبه في بعض الأيام حسب الجدول الدراسي.

وطيلة سنوات الزمالة كان هو هو من قبل من ناحية بساطته، وبُعْدُه عن التزيد، والترفع.

بل لقد كان متواضعاً جداً، مؤثراً للعزلة، والخمول؛ فتراه يصاحب بعض العوام، ويجالسهم كثيراً، ومن رآه ظنه واحداً منهم.

ولا أذكر أنه أساء إلى أحد في مطلع شبابه إلى أن فارق الدنيا، بل كان مسالماً بعيداً عن المشاحنات، والمزايدات.

وكان من دأبه ـ مع علو كعبه في العلم ـ التواضع لمن هم دونه في العلم، والمسارعة إلى تهنئة من ينال رتبة علمية من معارفه مع قلة اتصاله، ومعذرتهم له لو لم يبادر إلى ذلك.

ومع هذا التواضع هو متصفٌ بعزَّة النفس، والترفع عن الدنايا، وصغائر الأمور.

وكان يستشير مَنْ هُمْ دونه في العلم والسن في بعض المسائل العلمية، وفي جدوى بعض الموضوعات لأن تكون رسائل علمية.

ومع دِقَّته البالغة، وكونه نقادةً بصيراً بمواضع الخلل في الكتب، والمقالات، والخطب ـ لم يكن يبدي أي احتقار، أو

تنقُّصٍ لأحدٍ، وإن سُئل عن شيء من ذلك أشار إشارةً مقتضبة جداً، وربما سكت، مع كثرة ما يقرؤه لمن هم دونه، وكثرة ما يسمعه من الكلمات التي تلقى أمامه في المساجد في رمضان وغيره.

ومن أعظم صفاته الصبر على البلاء، فلقد ابتلي في سنواته الأخيرة بأمراض عدة، فلم يكن يشكو منها، أو يخبر أحداً بها إلا القلة من أقرب الأقربين من أولاده ـ كما أخبرني بذلك ابنه الأكبر هشام ـ.

ومع شدة اشتداد المرض عليه لم يكن يترك صلاة الجماعة، والتبكير إليها، ولا شهود الجنائز.

ولا أَدَلَّ على ذلك من أنه أصيب بجلطةٍ وهو قائمٌ يصلي مع الناس ليلة السابع والعشرين من رمضان، ثم توفي بعدها بعدة أيام.

ومن حميد صفاته ورعه في المكاسب، ومن الأمثلة على ذلك أنه لما صُرِف له بدل الحاسب من قِبَل الجامعة ـ رَفَضه،

وكتب للمسؤولين: أني لا أستحقه؛ لأني لا أحسن التعامل معه إحساناً يستحق أن يصرفَ لي مكافأة عليه.

ومن صفاته الجميلة ثبات الود، والمحبة لجيرانه، وأصحابه الأوائل؛ فبرغم أن الجيران الأوائل تفرقوا، وابتعدت مساكنهم عن بعض، وبرغم ما ناله من المكانة العلمية ـ لم يتغير أبداً على أحبابه، وأصدقائه، وجيرانه، بل بقي كما عهدوه من قبل.

وكانت والدتي ـ رحمها الله ـ تجلُّه كثيراً منذ أن كان صغيراً، فكان يرسل إليها السلام، وترسل إليه السلام بعد أن تفرقت بنا المنازل.

ولا أزال أذكر تعزيته المؤثرة المكتوبة التي أرسلها لي في والدتي لما توفيت في ١٤٣٣/٩/٣هـ.

وإن مما يؤسف عليه في سيرته أنه **لم يُخْرج كتبه في حياته**، وكنت كثيراً ما أتكلم معه حول ذلك، وهو يقول: إن شاء الله سأخرجها، ولكنها تحتاج إلى مزيد تنقيح؛ فكنت أمازحه

وأقول: ما وراء هذه الدقة دقة، بل أظنها تحتاج إلى مزيد وسوسة، فكان يضحك من ذلك.

وقبل وفاته بفترة اتصل عليَّ وقال: أريد أن أخرج عدداً من البحوث عندي فما السبيل؟

فقلت: الحمد لله بشَّرك الله بالخير، الأمر يسير، تطبعها دور النشر، أو مركز تفسير سيرحبون بك، ففرح بذلك، واتصلت بمدير المركز الأخ الصديق الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن معاضة الشهري، فسُرَّ بذلك أيما سرور، وقال: نسمع بالشيخ، وبسعة علمه، ونريد أن نطبع رسائله.

وبعدها قال الشيخ سليمان: إن شاء الله سأعدها للطبع، ثم حالت المنية بينه وبين ذلك.

فلعل الله يبعث همة أولاده ومحبيه لنشر تراثه، ولو ما أعده من رسائل علمية ـ الماجستير والدكتوراه ـ أو بحوثه المحكمة، أو ما علَّقه على بعض الكتب، أو ما حرره في بعض المسائل، أو ما أملاه على الطلبة.

وفي ختام هذه الكلمة العجلى أود أن أشير إلى أمرين:

الأمر الأول: أني آمل من زملاء الشيخ في الأقسام العلمية التي دَرَّس فيها الشيخ سواء في جامعة القصيم أو جامعة المجمعة أو غيرهم أن يُعنوا بعلم الشيخ، ومنهجه، وجهوده في التفسير وعلوم القرآن عموماً، وذلك من خلال رسالة علمية ـ ماجستير أو دكتوراه ـ، أو أكثر من رسالة؛ فهو جدير بذلك.

الأمر الثاني: أن الشيخ سليمان رحمه الله كان من طبيعته ـ كما مر ـ أنه مؤثر للعزلة، قليل المخالطة للناس ـ مع ما له من مشاركات في التدريس، وإلقاء الكلمات وغيرها.

وهذا راجع إلى فهمه لطبيعة نفسه، وتقديره لما يناسبه، ويلائمه من حال.

لكن لا يعني أن يكون ذلك الأمر ـ وهو إيثار العزلة والخمول ـ هو المسلك الأَمَم الراشد الملائم لكل أحد؛ فالناس لا يمكن أن يسيروا على سنة واحدة؛ ولكل وجهة هو موليها، وقد علم كل أناسٍ مشربهم.

يقال ذلك؛ لأن بعض من يتكلمون عن أمثال الشيخ لا يروقهم إلا مسلكه في قلة المخالطة؛ فيوحى للناشئة بطريق غير مباشرة أن ذلك هو المنهج الصحيح، وأن من يَتَصَدَّوْنَ للناس، ويتصدرون لهم على غير هدى.

والحقيقة أن كلا الفريقين على خير.

بل ربما كان المتصدي المتصدر بحق أعظم أجراً، وأخلد أثراً.

هذه كلمات موجزة لا توفي الشيخ حقه، ولعل الله ييسر فرصة أطول لكتابة أوفى.

رحم الله شيخنا سليمان السليمان، وأسكنه الفردوس الأعلى، وأورثه صحبة النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

٦ / ١٠ / ١٤٣٩هـ

الشيخ: سليمان السليمان كما عرفته (٢)

كتبتُ بعد يوم من وفاة شيخنا الجار العزيز الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالعزيز آل سليمان كلمة أبنْتُ فيها بعض ما أعرفه عن الفقيد رحمه الله وعن بعض جوانب حياته، وأحواله مع القراءة، والعلم، والدأب، والتحصيل، وما كان عليه في ذلك الشأن.

وكنت متوقعاً أن بعض من يقرؤون تلك الكلمة من معارفه - فضلاً عن غيرهم - قد لا يتصورون ما كان عليه الشيخ سليمان من الذكاء، وطول الباع، وسعة الاطلاع.

ولكن لم أكن متوقعاً أن يكون بتلك الصورة التي صارت بعد نشر الكلمة؛ حيث توالت الرسائل، والاتصالات من قريب ومن بعيد، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها.

وكلها تعبر عن إعجابها بالشيخ، ورغبتها بالمزيد من الحديث عن شخصيته، وعلمه، وسيرته، وتضيف بعض ما تعرفه عن الشيخ.

وكان ممن اتصل حول ذلك الشأن أصدقاء لي وله، وأساتذة كبار من الزملاء في الجامعة وغيرها، وكثيرٌ من معارف الشيخ، وطلابه؛ حيث أبدوا أنهم يعرفون الشيخ، ولكنهم لم يتصوروا ما هو عليه من النبوغ، والتميز، والتفرد.

بل إن أحد أئمة المساجد التي يصلي فيها الشيخ باستمرار قال: إن الشيخ يصلي معي منذ أكثر من عشرين سنة، وما كنت أظن أنه بهذه المثابة.

ولأجل ذلك، ولكون الكلمة السابقة كتبت على عجل، وجاءت عفو الخاطر، ورغبةً في مزيدٍ من تسليط الضوء على تلك السيرة الغراء أكتب هذه الكلمة المكملة لسابقتها، وسأسير في كتابتها على وَفْقِ الأولى من جهة الانطلاق فيها على السجية؛ آملاً أن توفِّي الفقيد بعض حقه، ولأجل أن تؤخذ العِبَر من تلك السيرة.

ولا ريب أن أخبار العلماء، والأكابر خصوصاً إذا كانوا معاصرين، ثم ماتوا دون أن يُعْلَم عن سيرهم شيء - لا ريب

أن ذلك مما ترتاح له الأسماع، وتنشرح له صدور من يَقْدُرون المكارم قَدْرَها.

وعند هبوب الناشرات على الحمى

تميل غصون البان لا الحجرُ

فكيف إذا كانت سيرهم مغمورة، وأكثر الناس لا يعلمون عنها شيئاً، أو يعلمون القليل منها؟

ثم إن الثناء الصادق مما دَرَجَ عليه سلفنا الصالح؛ فكانوا يثنون على بعض، ويذكر بعضهم بعضاً بالخير.

وإنك لتعجب ممن يطعن بسلفه الصالح، ويزري بأكابر أهل ملته من علماء وفضلاء سواء كانوا أحياءاً أو أمواتاً.

يقول الأستاذ العلامة محمد كُرْد علي رحمه الله في مذكراته ١/ ٢٧٤: «دخل عليَّ مستشار المعارف، وأنا في مكتبي بالوزارة ظاهر الغضب على محرر جريدتنا المقتبس؛ لنشره في الجريدة تعريضاً ببعض رصفائي الوزراء؛ خدمة لأعراض من يخدمهم من حزبه؛ فسألني المستشار عن غضبي على خلاف

عادتي، فذكرت له السبب، فقال: لا أعرف كيف أعلل هذه الأخلاق فيكم تسقطون أبداً رجالَكم من الأعين، ورجالُكُم قليلون مهما بلغ عددهم لا يتجاوز المائة؛ فإذا أسقطتموهم كلهم فمن يبقى يخدمكم في السراء والضراء، وينفعكم باسمه ومكانته؟!».

وقال الأستاذ محمد كرد علي -أيضاً- : «كان أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري وهو على سرير الموت يقول لمن حوله من أصحابه: اذكروا مَنْ عندكم من الرجال الذين ينفعونكم في الشدائد، ودوِّنوا أسماءهم في جريدة؛ لئلا تنسوهم، ونوِّهوا بهم عند كل سانحة، واحرصوا عليهم حرصَكم على أعزِّ عزيز.

وأظنهم على كثرة ما كدَّوا حافظتهم وذاكرتهم لم يعدوا أكثر من خمسين رجلاً.

وكان يقول لنا -أي الشيخ طاهر- تجاوزوا عن سيئاتهم، وانتفعوا بحسناتهم.

وشيخنا هذا قضى عمره في السعي إلى الإصلاح والتجدد».

هذا وإن من أول ما يلفت نظرك في سيرة الشيخ سليمان أنه من فصيلة ما يمكن أن يقال عن الواحد منهم: إنه (**كبيرٌ وهو لا يدري**).

فمن خالطه، أو تتلمذ عليه في الجامعة، أو غيرها ـ يعجب من تلك القامة العلمية السامقة، ويعجب مرة أخرى من كونها هادئةً لا تُحِسُّ لها وجْبَةً، ولا تسمع لها ركزاً؛ إذ كيف لا يُعرف؟ وكيف تراه في غاية ما يكون من البساطة والتواضع وهو على هذا الطراز من الألمعية، والتوقد، والنبوغ.

والسِّرُّ في ذلك أن الشيخ من تلك الفصيلة المشار إليها؛ إذ هو لا يشعر أنه متميز، ولا أن ما عنده جديرٌ بالحفاوة، والتقدير.

بل يرى أنه معدود من عامة الناس، وأن غيره من زملائه يفوقه بمراحل.

وهكذا يكون الكبير؛ إذ يصل إلى مرحلة من العلم يرى

معها أن لا علم عنده، كما عبَّر عن ذلك الشافعي رحمه الله إذ يقول:

كلمـــا أدَّبـــني الدهــــ
ـــر أرانـــي نقـــص عقلـــي
وإذا مـــا زدتُ علمـــاً
زادنـــي علمـــاً بجهلـــي

وهذه الحالة تعتري من يدمن قراءة ما رَقَمَتْه يراعة أكابر العلماء من السلف ومن بعدهم؛ حيث يرى أنه لا شيء أمام تلك القامات التي سطرت، وأبدعت، وأَمْلَتْ ما أَمْلَتْ بالرغم من ضيق الإمكانات، وشَظَف العيش، وكثرة تكاليف الحياة؛ فربما هجمت عليه حالة من التصاغر؛ التي تجعله يتضاءل كثيراً؛ خصوصاً إذا كان ذا نفسٍ مطمئنة.

وسِرٌّ ثانٍ وهو طبيعة الشيخ الخجولة، وشخصيته المرهفة التي تحاذر من الوقوع في الخطأ، وتراعي مشاعر الآخرين، ولا ترغب في جرح الإحساسات.

وتلك الخصلة نمت، وزادت عنده مع كرور الأيام.

وسرٌّ ثالثٌ وهو بيئة الشيخ التي عاش فيها، وهي بيئة بَلَدِهِ الزلفي عموماً، وبيئة الحيِّ الذي كان يعيش فيه على وجه الخصوص؛ فتلك البيئةُ يغلب عليها الحياء، وتقدير الإنسان لأكابره؛ فلا تراه يتقدم بين أيديهم مهما بلغ من العلم، والقدر؛ فهي بيئة ناقدة لا تحب التعالي، ولا التفاخر، ولا التقدم ممن ليس أهلاً لذلك.

وهي تشترك مع غيرها من البلدان في ذلك، و لكنها قد تزيد عندها.

وتلك الخصلة لها عيوب، ولها مزايا؛ أما عيوبها فإنها قد تحبط بعض المواهب، وتصدها عن الترقي، وتورثها قلة الثقة بالنفس.

أما مزاياها فإنها تعلم الصبر، والتواضع، وقلةَ الحرصِ على التصدر، وإبداءِ الرأي في كل شأنٍ من الشؤون، وتنأى بالإنسان عن المعارك الصغيرة التي تأكل وقته وصحته أكلاً.

فإذا جاوز الإنسان تلك القناطر من الصبر، والمداراة، ونحوها، وشهد له أهل الفضل، والعلم، والعقل بالتميز، والتفرد ـ كان جديراً بالرفعة، والسيادة، والقيام بجلائل الأعمال التي ترضي الله، وتنفع الناس؛ فلا تراه يقوم مقاماً يزري به، ويحط من شأنه، ويجعله أضحوكة للآخرين.

ولا يدرك هذه المعاني الرفيعة الشأن إلا من عَركته الأحداث، وحنَّكته التجارب، ووسمته الأيام بميسمها، وكان ذا فطنةٍ مستيقظة تدرك أسرار الاجتماع، وتعتبر بتقلبات الأحوال، و:

إذا لم يكن مرُّ السنين مترجماً

عن الفضل في الإنسان سميتُه طفلا

والشيخ سليمان رحمه الله واحدٌ من أولئك الذين عاشوا في تلك البيئة؛ فكان لها أثرٌ عليه.

وتلك البيئة حافلة بالنوابغ، والأذكياء، والوجهاء،

والشعراء، والعباد المذكّرين بالسلف الصالح، ومن لهم رسوخٌ في سائر الفضائل من عِفّةٍ، وشجاعةٍ، وكرمٍ، ونخوةٍ، ونحو ذلك.

ومع هذا فلا يشعرك الواحد من أولئك أنه شيء يستحق الذكر، بل ربما استغرب ممن يذكره بشيء من ذلك.

وأعرف -على سبيل المثال- من هم في مصاف أكابر الشعراء في الفصيح وغير الفصيح، ولو ذكرتُ بعض شعره لطال منه العجب.

وتراه في الوقت نفسه لا يرى أنه شاعر، بل ربما احمر وجهه، وعلاه الرحضاء لو ذُكِرَتْ أمامه بعض قصائده التي قالها.

وأكثر هؤلاء لا يحتفظ بقصيدة واحدة له: فإن قالها، ثم حُفِظت عنه، أو ظفر بها أحد وهي مكتوبة -بقيت، وإلا طواها النسيان، وصارت كأن لم تكن شيئاً مذكوراً.

أين هذا ممن يرى أن أشعر الشعراء، وهو في وادٍ، والشعرُ

في وادٍ آخر.

وأذكر أن واحداً من هذا الصنف الأخير قال مرثية في عَمٍّ له، فعرضها علي؛ فكانت مهلهلةً مكسرة لا يستقيم له وزن، فضلاً عن أن تكون ذات مضمونٍ حسن، أو تجربة شعورية ناضجة، فحاولت صرفَه بالتي هي أحسن؛ غير أنه كان ممنوعاً من الصرف؛ فقال: لعلك تجبِّر بعض كسرها؛ فقلت له ممازحاً: هذه لا تحتاج إلى تجبير، وإنما هي ميتة تنتظر الدفن.

وأعرف من الناس عندنا من لا يطيق سماع صوته مسجلاً، أو عبر المذياع؛ فلا يكاد يكمل سماع كلمة مسجلة له خصوصاً إذا كان بحضرته أحد.

وذلك ليس بمحمودٍ بكل حال، ولا مذمومٍ بكل حال.

ولكن هذا هو الواقع، وإن كان بدأ يخفُّ أثره أخيراً.

ولو لم يأتِ من مزاياه إلا أنه ينزع من الإنسان المبالغة في تقدير ذاته، والوثوقية الزائدة بآرائه.

ولعلي أكتفي بذكر مثالين في ذلك السياق ممن كانوا في حيِّنا

في الزلفي، وذلك الحي أو الحارة المعروفة بـ: الشرقية، وهي تقع شرق جامع الملك عبدالعزيز الآن، وكانت هي وسط البلد، شمالاً وجنوباً، وفي الجزء الشرقي من ذلك الوسط.

المثال الأول: الشيخ الوزير عبدالله الطريقي رحمه الله أول وزير بترول في المملكة العربية السعودية. تلك العقلية الجبارة النزيهة التي يطول الحديث عن ذكرها.

هذا الوزير بدأ تعلمه للقرآن، ومبادئ الكتاب في ذلك الحي، وعند أول أستاذ له. وهو الشيخ محمد بن عمر رحمه الله.

هذا الرجل الذي تدرَّج في العلم، وترقَّى في المناصب إلى أن وصل إلى ما وصل إليه أفاد من بيئته. ولم يستسلم للعقبات التي أمامه، بل استعان بها على ما هو بصدده؛ فكان ما كان من شأنه.

والمثال الثاني: رجل لا يكاد يعرفه أو يسمع به إلا القلة القليلة من الناس عندنا، ومن بعض كبار السن على وجه الخصوص.

وهذا الرجل قد سافر إلى الكويت قبل منتصف القرن الرابع عشر الهجري، ثم عاد إلى مسقط رأسه في الستينيات الهجرية تقريباً، ومكث فيها إلى أن توفي.

وله أولاد في الكويت، وأحد أولاده تولى إحدى الوزارات عام ١٤٠٠هـ تقريباً.

ولما عاد ذلك الرجل إلى الزلفي عاش وحيداً في منزله، وكان يكتب للناس، ويقرأ لهم ما يريدون قراءته، ويعيش بينهم كواحدٍ منهم، أو ربما يرى أنه أقلَّ منهم.

هذا الرجل كان عالماً بارعاً في الفلك، وكان يجيد الألمانية، والأردية، وربما غيرهما من اللغات.

وهو الذي علَّم الفلكي المشهور العجيري بعض دقائق علم الفلك.

ومع ذلك فجيرانه -كما يقول الشيخ المؤرخ ناصر العليوي- ربما تندروا به إذا رأوه يرقب طلوع الشمس، أو غروبها، ويضع الحصى في جهة، ثم يفرق بينها؛ ليصل إلى نتائج ذات

قيمة في علم الفلك.

وقد مات منذ ما يزيد على أربعين سنة، ولا يكاد يعرفه الآن أحد إلا بعض من عاصروه.

هذا الرجل هو دخيل الرشيد العمر!

وأكاد أجزم أن أكثر من سيقرأ هذه السطور لم يطرق هذا الاسم سمعه من قبل.

فهذه بعض الأسباب التي آثر من خلالها الشيخ سليمان أن يعيش بين الكتب، وألا يكون له حضورٌ علميٌّ يليق به.

ومع ذلك ـ كما مر في المقال السابق ـ لم يكن الشيخ منزوياً كل الانزواء، ولم يكن بعيداً عن الناس كل البعد.

بل كان قريباً منهم، يقابلهم في المسجد، وفي الأسواق، وكان يحضر ما تيسر له من مناسباتهم.

ولا أذكر أنني دعوته إلى مناسبةٍ إلا يجيب، أو يعتذر اعتذاراً سميناً إما شفهياً، أو عبر رسالة جوال.

كما أنه لم ينقطع حتى وفاته عن الدروس، والكلمات.

ولم يكن حاله كحال بعض من يؤثرون العزلة من جهة ما تراهم عليه من التسخط على الناس، ومن قلة معرفتهم لأقدارهم، أو من تراهم يقابلون الناس بالعبوس، وتقطيب الجبين، أو ممن لا يرغبون أن يزورهم أحد، أو يزوروا أحداً.

لا، بل كان هاشًّا، باشًّا، يقابل الناس، ويأخذ معهم ويعطي، ويفيد.

وإذا طُلِب منه كتابٌ، أو فائدةٌ ـ بادر إلى الإجابة.

وإذا سُئِل سؤالاً أجاب السائل من فوره، أو وعده بأن يبحث له عن الجواب، ثم أخبره به.

يحدثني الدكتور الطبيب علي المسعود قائلاً: «سألتُ الشيخ سليمان في صغري، وإبان كنتُ في الثانية المتوسطة عن قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١٦٢.

سألتُه عن إعراب ﴿ المقيمين ﴾ كيف تكون منصوبة، وهي معطوفة على مرفوعات.

وقبل أن أكمل السؤال سرد علي جملةً وافرةً من الأقوال والأعاريب في تلك الآية؛ فانبهرتُ من سرعة الجواب، ومن تفصيله للأقوال.

وقال لي: الخلاصة أنه منصوب على الاختصاص». أ.هـ

ويحدثني الشيخ عبدالله بن أحمد الحمد ـ وهو ممن درس لهم الشيخ سليمان في الجامعة ـ قائلاً: «سألتُ الشيخ سليمان رحمه الله مرةً عن طريق الهاتف الثابت عن (السكنجبين) فقال: سأبحث لك عنه، وأجيبك.

ولم أتصل عليه، ونسيتُ الموضوع؛ فلقيته بعد شهر في أحد ممرات كلية الشريعة في القصيم، فسلمت عليه، فقال لي: لماذا لم تتصل علي؛ لأجيبك عن السكنجبين؟

وأعطاني درساً بالاهتمام بالمعلومة حال السؤال عنها، ثم قال: «السكنجبين شراب يتخذ من الخل، العسل. انظر متن

اللغة ص٢٨٢».

وإذا زاره أحدٌ في منزله استقبله بكل ترحاب، وسامره، وآنسه.

يحدثني الصديق الزميل الدكتور منصور بن عثمان الضويحي أنه زار الشيخ سليمان قبل وفاته بشهر في منزله، وكان برفقة الدكتور منصور ابن عمه الأستاذ الدكتور أحمد بن عبدالله الضويحي، وأنهما جلسا عند الشيخ من الساعة التاسعة مساءً إلى الثانية عشرة.

ويذكر الدكتور منصور أن تلك الجلسة كانت ـ كالعادة ـ ماتعة مُمْرِعة.

ويقول: إننا قلنا للشيخ سليمان: لِمَ لا تخرج مؤلفاتك التي لا تنقصها الجودة، والتحرير؟

فتبسم الشيخ، وقال: «لقد قال لي فلان ـ يعنيني ـ: أنت لا يعجبك العجب، **ولا العمرة** في رجب».

ولو قُدِّر للشيخ أن يُخرج مؤلفاتِه في حياته لكان له نَفْسٌ

أخرى ، وشأنٌ غيرُ شأنه الذي كان عليه.

ومن طبيعة الشيخ ، وحسن معشره أنه كان يحب المزاح ، وله تعليقات محببة يدركها من خالطه.

وأحفظ من ذلك العديد من تلك الكلمات التي يعبِّر عنها بنبرة صوتٍ يعرفها خاصة أصحابه ، والمقربين منه.

وكان مما يعرف به في الحي ، وعند أكثر معارفه إبان شبابه إلى أن مات بـ : (ابن سليمان).

وإن كان يعرف ـ أيضاً ـ فيما بعد باسم : (الشيخ سليمان السليمان).

وكان له أصدقاء ، وزملاء طفولة ، وبعضهم لم يكمل حتى دراسته الابتدائية ، ومع ذلك استمرت علاقته بهم إلى أن فارق الحياة ، وكان يجالسهم ، ويحبهم ، ويحبونه ، ولا يشعرهم ، ولا يشعرون بأنه العالم الأستاذ الدكتور.

بل كان يزورهم أكثر مما كانوا يزورونه.

ولهذا ترى أن هؤلاء على درجة من الثقافة مع أنهم لم

يكملوا دراستهم الابتدائية، وربما كان لكثرة جلوسهم مع الشيخ أثرٌ في ذلك.

وأذكر قبل عشرين سنة تقريباً أنه دار بيني وبين أحد هؤلاء حديث حول الفتوى، وكان ذلك الرجل ممن ليست له دراية في الكتب، ولا هو ممن يحضرون مجالس العلم، بل هو معدود من العامة، ولكنه محب للشيخ، مجالِسٌ له؛ فقال لي: «بعض الناس يتهاون بالفتوى، وما علم أنها توقيع عن رب العالمين».

ولا ريب أن هذه الكلمة كلمة علميةٌ رصينةٌ رشيدة، وقد استغربتُ صدورها من مثل هذا العامي.

ولكن غرابتي زالت؛ إذ إن تلك الكلمة نفَسٌ من أنفاس الشيخ سليمان، وأن ذلك الصاحب قد قبض قبضة من آثاره.

ومن طبيعة الشيخ رحمه الله حياؤه، واقتصاده في إبداء الملحوظات، مع كونه نقَّادةً، بصيراً، دقيقاً.

وأذكر مثالاً لذلك، وهو أن لي كتاباً اسمه (رمضان دروسٌ وعبر - تربيةٌ وأسرار) وكان يُقْرَأ في بعض المساجد في رمضان.

وفي يومٍ من الأيام أرسل الشيخُ إليَّ رسالةً عبر الجوال تقطر حياءً وأدباً ينبِّه فيها على خطأٍ في عَزْو الحديث، وكان مصيباً في تنبيهه.

وكان من لُطْفه أن إذا قرأ كتاباً لأحد المعاصرين أنه يبدي إعجابه، ولا يخفيه، ولو كان المؤلف ممن يصغره في السن، ولو كان في طبقة طلابه؛ فلم تكن المعاصرة بالنسبة له حجاباً.

ومن أعظم ما تميز به الشيخ سليمان **طيلة سنوات تدريسه في الجامعة** أنه كان عصيًّا على الاستغراق في الأكاديمية البحتة؛ فبرغم انضباطه الشديد، وقيامه بما يسند إليه من مهام أكاديمية من نحو إلقاء المحاضرات على طلاب البكالوريوس، وطلاب الدراسات العليا من ماجستير ودكتوراه، وبرغم قيامه بالمنهج المسند إليه خير قيام دون تراخٍ أو إهمال، ودون أن يذكر له ما يخلُّ بشيء من هذه الواجبات، برغم ذلك كله لا تراه منطوياً على متطلبات التخصص الدقيق، ولا منزوياً في دهاليز أبحاث الترقية، وأعباء المنهج المقرر، ولا بأعمال مجالس

الأقسام العلمية؛ بحيث تستغرقه، وتأكل وقته، وتشغله عما هو بصدده من مواصلة البحث، وكثرة القراءة في بقية المعارف، والتخصصات الأخرى.

وإنما استمر على نهجه الذي رسمه، وارتضاه لنفسه منذ بواكير عمره؛ فكان لذلك أبلغ الأثر في تنوع مصادره، ووفرة معلوماته، وتجدد علمه، واتصافه بما ينبغي أن يكون عليه العالم حقًّا، وأستاذ الجامعة صدقاً.

بخلاف كثيرين ممن إذا مضت عليه سنوات ليست بالكثيرة في التدريس الجامعي تخاذلت معلوماتهم، وربما نسي الواحد منهم ما كان عليه من قبل حتى في مجال تخصصه فضلاً عن بقية العلوم الأخرى المساندة للتخصص؛ فآل أمره إلى جهالة، وربما إلى قريب من العامية.

أما حال الشيخ سليمان فمن نوادر الحالات؛ فلا هو بالغارق في الأكاديمية، ولا بالمُتَفَلِّت منها، المُقَصِّر في حقوقها.

ولا ريب أن الأكاديمية انضباطٌ، ودقةٌ، ومنهجية، وتطور مستمر؛ فإذا جمع الإنسان بين متطلباتها، وبين ما تقتضيه روح العلم كان ذلك نوراً على نور، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وهذا ما جعل معلومات الشيخ سليمان حاضرة متجددة منذ بدايات تدريسه، إلى أخرياتها، أو حتى بعد تقاعده، وتعاقد الجامعة معه.

وأذكر أمثلة على ذلك:

يذكر الأستاذ الدكتور صالح بن فريح البهلال موقفاً له إبَّان دراسته في الجامعة مع الشيخ سليمان، فيقول: «كنت طالباً في المستوى الرابع من كلية الشريعة، وفيه يقرر على الطالب البحث العملي، وكانت الكلية قد وضعت بحثاً في هذا المستوى في تخصص التفسير، وعيَّنت فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سليمان السليمان ﷾ مشرفاً على جزء من الطلاب، كنت أحدهم، فرأينا من الشيخ جداً في الإشراف، ونصحاً في

الإرشاد، ودقة في النقد، وكان البحث أول بحث أكاديمي يمر بي، وكان قبيل خروج البرامج الحاسوبية، فكنت أعاني في جمعه جهداً ناصباً، فلا غرو أن يعتري البحث القصور في جمعه وترتيبه، ومراجعه ومسائله، قد أنهيته مكتوباً بخط يدي في خمس وخمسين ورقة، والورقة فيها ما يقارب (٣٠) سطراً، مرصوصاً بعضها إلى بعض، فأشهد أن الشيخ رحمه الله تفحَّص ذلك البحث حرفاً حرفاً، فنبَّه على الهمزة الساقطة، والمد المغفل، وبين الكتب التي رجعت إليها بواسطة، وقلب الفهارس ظهراً لبطن، فبين السقط في أسماء الكتب، وكان من ضمن ملحوظاته أن راوياً مهملاً، أخطأت في تعيينه، فنبهني على الصواب، فأحسب أن الشيخ رحمه الله قد وفَّى أمانة الإشراف، وكان هذا البحث باكورة بحوثي، فأفدت من الشيخ رحمه الله حسن التحرير، ودقة البحث، ولا زلت محتفظاً بهذا البحث إلى يومنا هذا».

ويضيف الدكتور صالح قائلاً: «وقد شرفتُ بزمالة الشيخ في

قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية في الزلفي، فذكرتُ له في العام الماضي ١٤٣٨هـ أي بعد عشرين سنة من قراءته لبحثي الجامعي، وشكرتُ له دِقَّته، واستقراءَه له، فجعل الشيخ يلوذ بالتواضع، ثم قال لي: أذكر الراوي فلاناً -يعني الراوي الذي أخطأتُ في تعيينه؛ فتعجبتُ من هذه الذاكرة الحاضرة». أ.هـ

ويذكر الشيخ القاضي بندر بن محمد القشعمي موقفاً آخر بعد سنوات من الموقف الذي ذكره الدكتور صالح فيقول: «أذكر أن الشيخ سليمان السليمان ﷾ درسنا مادة التفسير عام ١٤٢٢هـ في فرع جامعة الإمام في القصيم أنذاك، وكنا في المستوى الرابع في كلية الشريعة، وأذكر أنه استشهد ﷾ في أحد دروسه بقول للعالم (الشنفكي) وكان عدة أسطر، وكتبها كاملةً على السبورة من حفظه، فصار الطلاب - وفيهم طلبة علم متميزون - ينظر بعضهم إلى بعض، ويبتسمون - والشيخ يكتب - وهم متعجِّبون من هذا الاستشهاد، وقائله.

فالتفت الشيخ إلينا واستغرب من ضحك الطلاب!

فسألناه عن هذا الاستشهاد وصاحبه الذي لم يسمع أحدٌ منا باسمه، فقال: هذه مخطوطة للشنفكي لم تحقق بعد». أ.هـ

ويذكر الشيخ عبدالله بن أحمد الحمد موقفاً قريباً من ذلك الموقف، فيقول: «كان الشيخ يملي علينا في الجامعة في درسه التفسير، وكان درسه شائقاً، مليئاً بالفوائد، والفرائد، متَّسماً بطول النَّفَس، واستقصاء المسائل.

وقد لَفَتَ نظري في يومٍ من الأيام أنه مرَّةً ساق لنا نقلاً عن القرطبي عن أسرى المسلمين، وكنتُ ذلك اليوم في المكتبة؛ فرجعتُ إليه؛ فإذا هو بنصِّه لم يخرِم منه حرفاً؛ فتعجبت من قوَّة حفظه، واهتمامه».

ويذكر الأستاذ عبدالله بن إبراهيم الرزق المدرس في المعهد العلمي في الغاط مواقف من تدريس الشيخ له في آخر فصلين دراسيين درسهما الشيخ سليمان قبل وفاته بمدَّةٍ يسيرةٍ لطلاب الماجستير، فيقول: «درسني الشيخ في جامعة المجمعة مرحلة

الماجستير فصلين دراسيين في العام الدراسي ١٤٣٨-١٤٣٩هـ شرح خلالهما سورة الفاتحة، والرعد إلى آية (٣٩) وفصِّلت كاملة، والمجادلة إلى آية (٤) وبلغ عدد الصفحات التي أملاها ما يربو على (٢٢٠) صفحة، وكلها من حفظه.

ومن عجائبه أنه عند تفسيره للآيات تجد جميع العلوم حاضرة في شرحه، مع براعته فيها، فيستطيع الطالب أن يتعلم جميع الفنون من خلال شرحه، فيذكر جميع أوجه الإعراب والاشتقاق اللغوي للكلمة، مع ذكر الشاهد عليها، وأقوال العلماء فيها بأسلوبٍ عالٍ ودقيقٍ، مع عزو الأقوال لأصحابها، ثم يذكر ترجيحه، والدليل عليه، ويقول: الوقت ضيق وما يمدي نذكر كل ما قيل في الآية.

ومجموع ما حفظه الطلاب من الشواهد الشعرية التي ذكرها في شرحه ما يقارب (١٠٠) شاهد.

ولا يستشهد بحديثٍ إلا ويعلق عليه من جهة صحته وضعفه.

ومن شدة تعلقه بالقرآن وتفسيره أنه في أحد المحاضرات جلسنا أربع ساعات متواصلة، فيقول: لا تصيرون مليتوا، عجيب كلام رب العالمين، ما تشعرون باللذة اللي أنا أشعر بها؟» أ.هـ

وهذه اللذة التي يجدها في تفسير كلام الله ـ عز وجل ـ تدلُّ على حبِّه للقرآن، وتخلله منه مسلك الروح، وقد سبقه إلى ذلك علماء، ومنهم السبكي؛ إذ يقول رحمه الله:

لأسرار آيات الكتاب مَعَانِ
تَدِقُّ فلا تبدو لكل مُعانِ
إذا بارقٌ قد لاحَ منها لخاطري
هممتُ قريرِ العينِ بالطيران

إلى أن يقول الأستاذ عبدالله الرزق: «ومما يدل على سعة اطلاعه أنني عرضت عليه خطة البحث، فأتى بها من الغد، وأضاف على الدراسات السابقة ثلاث دراسات لها تعلق بالبحث، مع العلم أن الشيخ لا يستعمل الأجهزة الحديثة في

بحثه.

وكان يسأل الطلاب فإذا أجاب الطالب إجابة مجانبة للصواب يعلق عليه مازحاً، ويقول: قرأتُ جميع كتب التفسير التي بين أيديكم، ولم أذكر أن أحداً ذكر القول الذي ذكرت.

ومما يتميز به أن يلزم الطلاب عند كتابة البحث أن يكتبوه بخط اليد يقول: أثبت للمعلومة.

ويقرأ جميع البحوث قراءة فاحصة». أ.هـ

ولا ريب أن هذا الاطرادَ في التدريس، والرغبةِ في إفادة الطلاب، مع طولِ العهد، وأن ذلك لم ينل نيلَه من تلك الذاكرة الطَّيِّعة، ولا من المعلومات الوافرة ـ لا ريب أن تلك الحال حال نادرة جديرة بالتأمل، واستلهام العِبَر؛ إذ يلاحظ أن كثيراً من الناس في أوائل تدريسه قويٌّ في معلوماته، وفي أدائها، ثم لا يلبث أن تتراخى عراه؛ فيقِلُّ حماسه، وتضعف معلوماته.

ومع ذلك التميز الظاهر ترى الشيخ وكأنه واحدٌ من أقل الأساتذة علماً، وحفظاً، وفهماً.

بل إن أكثر من زاملوه في الكلية ـ كلية الشريعة ـ لم يكونوا يعرفون عنه هذا الشيء، بل إن بعضهم لا يعرفه حتى باسمه، وبعضهم فوجئ بعد وفاة الشيخ بما قيل عنه، وندم على أن لم يكن عرف عنه ذلك من قبل، وكأن لسان حال الشيخ سليمان يقول:

وإذا أنا أسديتُ يوماً نعمة

أغضيتُ لم أمنن ولم أتبخترِ

كالعطر يَعْبِق في المجالس نشْرُه

والفضلُ منسوبٌ إلى المتعطرِ

ومما كان عليه الشيخ رحمه الله من السيرة الحميدة ـ محبته لأهل العلم عموماً، واحترامه لهم، ومحبته لأهل العلم في بلده على وجه الخصوص، سواءً ممن يكبرونه، أو ممن هُمْ في سنِّه، أو من يصغرونه؛ فلا يعرف عنه إساءة، أو تنقُّص لأحد منهم.

وأذكر قبل ما يقرب من خمسٍ وعشرين سنة أن ذهبتُ إلى الرياض مع مجموعة من المشايخ من الزلفي إلى زيارة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله وكان من ضمن الزائرين الشيخ سليمان السليمان.

وقد جلسنا مع الشيخ ابن باز جلسة خاصة بعد العشاء في مكتبته، ثم تناولنا العشاء معه، وكان ذلك اللقاء ـ أظنه ـ الأول والأخير الذي التقى فيه الشيخ سليمانُ الشيخَ ابن باز؛ فكانت فرحة الشيخ سليمان بذلك اللقاء غامرة، وسعادته بالشيخ لا توصف، وحديثه عنه بعد اللقاء شائقاً رائقاً.

ومن أعظم ما يميز الشيخ سليمان أنسه بالكتب، مطبوعها ومخطوطها، وانكبابه على القراءة؛ بحيث شغلته ـ في أغلب أوقات عمره ـ عن منادمة الأحباب، ودعة التنعم بمغتسلٍ بارد وشراب؛ فكان لسان حاله مع الكتاب، كما قال الشنفرى ـ مع الفارق ـ:

ولي دونكم أهلون سِيْدٌ عَمَلَّسٌ

وأرقط زهلولٌ وعرفاء جيألُ

أولئـــك لا مســـتودع الســـر ذائـــع

لـديهم ولا الجـاني بمـا جَـرَّ يُخـذل

ولم تكن تلك القراءة من نوع التسلية، أو تزجية الفراغ، أو الرجوع لها عند الحاجة إليها سواء في بحث مسألة أو الوقوف على فائدة.

وإنما كانت ـ مع ذلك ـ قراءة فاحصة متأنية ناقدة.

وأكاد أجزم أن في بطون كتبه تعليقاتٍ نفيسةً، وفوائد جمَّة، ومقارناتٍ نافعةً؛ إذ كان يقرأ، ويعلق، ويدقق، وينقد، ويحفظ.

بل أكاد أجزم أن كثيراً من أمهات الكتب مما قد لا يستوعبها بعض المتخصصين فيها ـ قد استوعبها الشيخ دراسةً، وأحاط بها خُبْراً؛ فلا يُعْوِزه استظهارها، وربما شرحها.

لا أقول التفاسير، ولا كتب علوم القرآن، وشروح الحديث، وكتب الرجال، والجرح والتعديل، ومصطلح الحديث، ولا كتب الفقه وأصوله، وما جرى مجرى ذلك.

وإنما الكتب الأخرى ككتب الغريب، وكتب اللغة: نحوها، وصرفها، وآدابها، وكتب البلاغة، وسائر الفنون.

وكالمعاجم العربية؛ فلا إخاله إلا يعرف مناهج أصحابها، وميزات كل معجم، والمآخذ عليه.

وككتب أكابر العلماء ممن لهم السبق في سائر العلوم، ككتب الشافعي: الأم، والرسالة، وكتاب سيبويه، وكتب عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وكتب ابن جني: كالخصائص، وسر صناعة الإعراب، وكتب ابن فارس: المقاييس والمجمل، والصاحبي في فقه العربية، وسنن العرب في كلامها، وككتب ابن قتيبة كتأويل مختلف الحديث، وتأويل مشكل القرآن، وككتب ابن حزم، والشاطبي فضلاً عن كتب ابن تيمية وابن القيم، وعلى هذه النبذة فَقِسْ.

مع عنايته بالمخطوطات، ونوادر الكتب، وما يستجد في عالم الكتب.

هذه نبذة من سيرة الشيخ سليمان السليمان، فلعلي أوفيته بعض حقّه، ولعل هذه السطور تكون دافعةً لمزيدٍ من دراسته، والعناية به، وإخراج ما لديه من مكنونات.

وإني لآمل من أولاده الكرام -بنين وبنات- وهم محبون له حبًّا جمًّا، وهو -كذلك محبٌّ لهم- أن يحرصوا على نشر علم والدهم، وأن يفتحوا الباب لمن أراد دراسة والدهم، والعناية بعلمه خصوصاً من أصحاب الدراسات الجامعية العلمية الأكاديمية.

وأرى أن هناك مادةً ضخمةً تتمثل في رسالتيه الماجستير والدكتوراه، وبحوثه الجامعية، مع ما يوجد من تعليقاته على الكتب، وإملاءاته على الطلاب.

وهناك خُطَبُه التي كان يلقيها إبان خطابته في جامع الدريبي في الزلفي؛ فقد كانت خطباً مكتوبة، وكان يطيل فيها، ويعنى بها عنايةً بالغة، وربما تكون تلك العناية خارجة عن الطور من جهة التخريج، والعزو وما جرى مجراه؛ فلعل في ذلك مادة

خصبة تليق بالدراسة، والنشر.

وفي الختام أودُّ أن أبوح بِسِرٍّ، وهو أنه لم يخطر ببالي أن أخُطَّ حرفاً عن الشيخ، وإن كنتُ أتحدثُ عنه مراراً في حياته.

ولما انتقل إلى جوار ربه داهمني شعورٌ غريبٌ، ورغبةٌ جامحةٌ في الكتابة عنه.

وقد سألني أحد الأحبة قائلاً: ما الذي دفعك إلى الكتابة عن الشيخ؟ فقلت: خشيتُ أن يكون لا بواكي له.

غفر الله للشيخ سليمان، وأنزله منازل السابقين المقربين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٤٣٩/١٠/١٤هـ

الفهرس

ـ المقدمة	٣
ـ تعريف عام بالشيخ سليمان السليمان :	٥
ـ مولده	٥
ـ دراسته	٥
ـ الشيخ سليمان السليمان كما عرفته (١)	٧
ـ يوم وفاته	٧
ـ عادة الناس إذا مات عَلَمٌ	٧
ـ منهجي في كتابة هذه السيرة	٨
ـ بداية معرفتي بالشيخ سليمان	٩
ـ شغف الشيخ بالقراءة والاطلاع	١٠
ـ بعض ذكريات الشيخ في الصبا	١٠
ـ من أخبار الشيخ في المكتبة العامة	١٢
ـ بعض صفات الشيخ	١٦

ـ ثقافته العالية ، وقراءاته المتنوعة المبكرة	١٦
ـ الشيخ والدعوة إلى الله	١٩
ـ براعته في فنون العلم	١٩
ـ كان ذا منطقٍ عالٍ جزل	٢٠
ـ تخصصه الدقيق	٢٠
ـ جريانه على طريقة السلف في العقيدة	٢١
ـ تدريسه في الجامعة	٢٢
ـ مشاركته في كلمات المساجد	٢٢
ـ أخلاقه	٢٢
ـ الشيخ لم يخرج كتبه	٢٦
ـ إشارة إلى أمرين	٢٨
ـ الشيخ سليمان السليمان كما عرفته (٢)	٣٠
ـ ردود الفعل بعد المقال السابق	٣٠
ـ الشيخ من فصيلة (كبيرٌ وهو لا يدري)	٣٤
ـ أسرار إيثار الشيخ البعد عن الأضواء	٣٤

ـ بعض أخبار الشيخ ، وصفاته	٣٧
ـ ما تميز به في تدريسه الجامعي	٤٨
ـ أمثلة من مواقفه في التدريس الجامعي	٥٠
ـ زيارته للشيخ ابن باز	٥٨
ـ الشيخ والكتب	٥٨
ـ أمل	٦١
ـ سبب الكتابة عن الشيخ	٦٢
ـ الفهرس	٦٣